

تاريخ الإرسال (2017-02-23). تاريخ قبول النشر (2017-05-21)

أ.د. أحمد محمد الشرقاوي<sup>\*1</sup>

<sup>1</sup> قسم التفسير وعلوم القرآن - جامعة الأزهر - مصر

\* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: [Sharkawe2000@yahoo.com](mailto:Sharkawe2000@yahoo.com)

## قصة أصحاب السبت دروس وعبر

### الملخص:

قصة أصحاب السبت: لهذا الموضوع أهمية بالغة لتعلقه بدراسة القصص القرآني، واستنباط ما فيه من دروس وعبر. ومعرفة طبائع اليهود للحذر من سوء أساليبهم وحيلهم الخبيثة؛ فلا شك أنهم أعدى أعدائنا. وحاجة الدعاة والمصلحين والمربين إلى الاستفادة من قصص القرآن وتوظيفه في الدعوة والتربية. ومن أهداف البحث: بيان هذه القصة القرآنية كما جاءت في القرآن. وإبراز ما فيها من دروس وعبر. لذا سيدور البحث حول القصة، سياقها، معانيها، بلاغة أسلوبها المعجز، وما يستخلص من دروس وعبر.

ومن النتائج المستخلصة: وجوب الاعتبار بقصص السابقين، والاتعاظ بعاقبة الهالكين، والنظر في سنن الله تعالى المطردة. وأنه لا ينتفع بالمواعظ إلا أولوا النهى وأهل التقى، فليحرص العبد على تقوى الله فهي زاده وسبيله لكل خير. ويستفاد من القصة ذم الحيل، وخطورتها على الفرد والمجتمع، حيث بينت القصة أن من أسباب الاحتيال ما جبلت عليه بعض النفوس من طمع وجشع وميل للمكاسب الهائلة بأقل مجهود، وما أكثر الحيل في عصرنا سيما من قبل المرابين وغيرهم. كما تشير القصة إلى خطورة الصيد الجائر والذي يستنزف ثروات البر والبحر ويفسد البيئة.

كلمات مفتاحية: قصة، أصحاب السبت، الحيل غير الشرعية، اليهود.

## The Story of the Sabbath- breakers Lessons- warning and benefits"

### Abstract

Story breakers of Saturdayshabalsabt to this thread attached importance to the study of Quranic stories, and to draw out the lessons of the cross. And know the natures of the Jews warned of bad tactics and malicious tricks; there is no doubt that they are the most demonized enemies. And the need for preachers and reformers and educators to take advantage of the Koran stories and rehired in advocacy and education. And research objectives: a statement that the Quranic story and benefit from the words of the commentators. The highlight of the lessons across. This research will consist of an introduction and four sections and a conclusion first. the context of the story. The second topic: the story briefly. Section III: Statement of the story. The fourth topic: lessons learned through the story. Conclusion.

It is the findings: 'God's way to grace the guilty to repent. So beware of his sentence! Particularly those flush in a sea of sins, the punishment of Allah is severe, and painful torment. Immorality and disobedience, fraud on the law of Rahman and injustice of the causes deformed. The former must account stories, and cues sequel perish. advise does not benefit only the pious wise. Of the causes of fraud it is formed on some of the souls of the greed and the tendency of enormous gains with minimal effort, and others. story to the seriousness of overfishing, which depletes the land and sea wealth and spoil the environment. Koran accuracy and fairness as stated lovely exposed for survivors also said those who are perishing. Koran to this forgotten page in the history of the Jews proof of the sincerity of the Koran and that the house of God. We need to study the Quranic stories and draw out the lessons of the cross, I suggest a science project for the benefits derived from the Quranic stories, scientific and message about the characteristics of Quranic stories

Keywords: story, breakers of the Sabbath, illegal tricks, Jews

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد : فلا نزال في رحاب قصص القرآن نمضي، ننعلم بظلاله الوارفة، ونروي عطشنا لمعرفة أحوال الأمم السالفة، وننهله من عذبه التميمير، متزودين من عبره وعظاته ما نعدُّ به المسير، وملتمسين في صحبته ورحابه الأنس والسَمير، فهو السراج المنير، والروض الحبير، من اقتطف من ثمرة، والتقط من دُرره، واستنبط من عبره، سار على هدى ونور، وعاش في فرح وحبور . { لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [يوسف : 111]

وبين أيدينا قصة حافلة بالعبر والعظات، بل بحر زاخر يفيض بالخيرات والبركات، ما أحوجتنا إلى أن نطوف بساحله، ونبحر في تبحره<sup>(1)</sup>، لصيد فوائده، وصيد أوابده، وجمع فرائده، إننا على موعده مع قصّة تتشوّف النفوس لتأملها، وترنو البصائر لمتابعة أحداثها، قصة أصحاب السبت: كيف تعدى العصاة على حرمة هذا اليوم، فاحتالوا على شرع الله، وانتهكوا محارمه، ثم كيف أفضى بهم الحال؟ ونقف من خلالها على موقف المصلحين الغيورين، الذين وقفوا في وجه المختالين، وكانوا لهم خير واعظين، ولتوبتهم راجين، ولربهم مُعذرين؟ من خلال هذا البحث نتعرف على قصتهم ونقف على عبرها وعظاتها، وقد جعلته بعنوان قصة أصحاب السبت دروس وعبر.

## أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

1. أهمية دراسة القصص القرآني، واستنباط ما فيه من دروس وعبر.
2. معرفة طبائع اليهود؛ للحذر من سوء أساليبهم وحيلهم الخبيثة؛ فلا شك أنهم أعدى أعدائنا، وصدق ربنا إذ يقول { لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا } [المائدة : 82].
3. حاجة الدعاة والمصلحين والمربين إلى الاستفادة من قصص القرآن وتوظيفه في الدعوة والتربية قال تعالى { وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } . [هود : 120 ، 121]
4. شعفي بقصص القرآن، وهذه القصة أثار عظيم في نفسي مذ سمعتها في صباي من أحد الدعاة.
5. أنني حضرت في هذا الموضوع، وخطبت فيه عدة خطب، فرأيت أن أكتبه، لعل الله ينفعي بالمكتوب، وينفع به غيري.

## أهداف البحث:

1. تدبر القصص القرآني، فكم فيه من عبر وعظات.
2. بيان طبائع اليهود، للحذر منها.
3. إبراز ما فيها من دروس وعبر.

(1) - تَبَّحُّ البحر: وسطه .

4. إبراز سمات القصة القرآنية من واقعيتها وصدقها، وعمقها.

مشكلة البحث: لماذا تحدث القرآن عن أصحاب السبت؟ وماذا قال عنهم؟

حدود البحث: الآيات القرآنية التي تتحدث عن قصة أصحاب السبت.

خطة البحث: يتكون هذا البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: سياقات القصة.

المبحث الثاني: القصة بإيجاز.

المبحث الثالث: بيان القصة.

المبحث الرابع: دروس وعبر مستفادة من القصة. الخاتمة: وفيها نتائج وتوصيات وقائمة المراجع.

منهج البحث:

- جمع الآيات التي تحدثت عن أصحاب السبت وتدبرها.
  - الرجوع لكتب التفسير وعلوم القرآن، والاستفادة منها.
  - جمع الفوائد من كتب التفسير والمؤلفات في القصص القرآني.
  - تحريي الصحيح الثابت من الأحاديث والآثار.
  - تجنّب الموضوعات والإسرائيليات، فإن ذكرت فللتحذير منها.
  - أكتفي من اللغة والبلاغة والقراءات بما له صلة بالمعنى وإبراز جمال العبارة وثراتها.
  - قمت بتخريج الآيات القرآنية الواردة في البحث، بذكر اسم السورة ورقم الآية.
  - قمت بتخريج جميع الأحاديث الواردة، بذكر الراوي الأعلى وعزو كل حديث إلى مصادره من كتب السنة التي روي فيها، وذكر موضعه، مع بيان ما في الحديث من ألفاظ غريبة بالرجوع إلى كتب اللغة وكتب غريب الحديث وغيرها، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما: فالحديث لا يحتاج لحكم، وإذا لم يكن فيهما ولا في أحدهما رجعت إلى أقوال المحدثين الثقات في الحكم عليه، فإن لم أجد حكماً عليه اجتهدت بالنظر في سنده.
  - بينت معاني مفردات ألفاظ القرآن الكريم بالرجوع إلى كتب التفسير وكتب علوم القرآن وكتب اللغة.
  - عزوت القراءات التي أوردتها في الرسالة إلى أصحابها مع توجيه كل قراءة بالرجوع إلى الكتب المتخصصة في ذلك.
  - قمت بترجمة لأعلام واردة في البحث مستعيناً بالكتب المتخصصة في ذلك.
  - تخريج الأشعار بعزوها لمصادرها، حسبما تيسر لي.
- والله أسأل أن يوفقنا للصواب ويجنبنا الزلل، ويرزقنا القبول.

## المبحث الأول : سياقات القصة

ورد الحديث عن قصة أصحاب السبت في خمسة مواضع من أربع سور في كتاب الله تعالى، هي على ترتيب المصحف: سورة البقرة، وسورة النساء [موضعان]، وسورة الأعراف، وسورة النحل التي أشارت إلى سبب تحريمه، لكنَّ القصة جاءت مفصَّلةً في سورة الأعراف، وهي سورةٌ مكيةٌ.

حين نجمع آياتها وتندبرُّها: ترسمُ أمام أعيننا صورةً مكتملةً، تُجَلِّي لنا ما حوته من فوائدٍ وعبرٍ.

الموضع الأول : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (66) } [البقرة : 63 - 66]. والآيات في سياق خطاب بني إسرائيل وتذكيرهم بنعم الله تعالى وعهوده عليهم، ودعوتهم للإيمان، وبيان مواقف أسلافهم المتعنتة، وجحودهم نعم الله عليهم واستخفافهم بها، وفيه تذكيرٌ وتحذيرٌ: تذكيرهم بحال وعاقبة من سبقهم من أسلافهم حين اعتدوا، حيث حلَّ بهم العذابُ البئيسُ، ومسحُّهم اللهُ تعالى قردةً خاسئين، مُبعدين مطرودين صاغرين، فإن تشابه الحال يفضي إلى تشابه العاقبة، فالمقدمات الواحدة حتمًا تنتهي إلى نتيجةٍ واحدة، فجعل اللهُ تعالى هذه القصةَ عظةً وعبرةً لكلِّ معتبرٍ، حيث نكَّل اللهُ بهم وجعلهم قردةً خاسئين لما اعتدوا على حرمة هذا اليوم، وجعل من قصتهم عظةً رادعةً وعبرةً لغيرهم، وجعل اللهُ تعالى قريتهم ومسحُّهم عبرةً لأهل قريتهم، ولسائر القرى، عبرةً لزمانهم ولسائر الأزمان، عَنِ الْحُسَيْنِ وَقَتَادَةَ: "{ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } بَعْدَهُمْ، فَيَتَّقُوا نِعْمَةَ اللَّهِ وَيَحْدَرُوهَا" (2). وقال ابن كثير: "يقول تعالى: { وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ } يا معشر اليهود ما حل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذ كان مشروعاً لهم، فتحيلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت بما وضعوا لها من الشصوص والحبال والبرك قبل يوم السبت، فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة، نشبت بتلك الحبال والحيل، فلم تخلص منها يوماً ذلك، فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت، فلما فعلوا ذلك، مسحهم اللهُ إلى صورة القردة". (3)

فجعل اللهُ القصةَ نكالاً لكل من سؤلت له نفسه من أهل ذلك الزمان ومن جاء بعدهم، ولأهل القرية ومن وراءهم، والنَّكَالُ: اسْمٌ لِمَا جَعَلْتَهُ نَكَالًا لِعِبْرَةٍ، وَنَكَالُهُ تَنْكِيلًا: حَيْثُ عَمَّا يُرِيدُ كَائِنًا مَنْ كَانَ. (4)

(2) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (1 / 177).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1 / 134). والشُّصُوصُ والشَّصُّ والشَّصُّ شيءٌ يُصَادُ به السَّمَكُ، لسان العرب، لابن منظور (7 / 47)، وهو حديدية معقوفة، يعلق بها السمك، نسميها صنارة، وسنارة.

(4) الطالقاني، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة - (6 / 265).

ويأتي الموضوع الثاني : في سياق الوعيد لأهل الكتاب سيما يهود المدينة الذين أعرض جُلهم بل ناصبوا دعوة الله العدا، وقد سلك القرآن بهم طريق الحجة والبرهان، فطرق قلوبهم بالوعيد الذي يهزُّ القلوب: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47) } [النساء : 47] . فتوعَّد الله تعالى أهل الكتاب أن يصيبهم ما أصاب أسلافهم الذين سبقوا على طريق التحايل والغواية، فجعلهم الله لكلِّ ظالم آية، بأن يمسخهم الله تعالى، فيحوّل وجوههم إلى أفقيتهم، أو يطمس معالم الوجه وملامحه، وخصّ الوجه لأنه أشرف المواضع، وأظهرها، وكونه مجتمع الحسن، واللعن هو الطرد والإبعاد والحرمان، والعار الذي يلزم صاحبه والعذاب البدني والنفسي الذي يرهقه ويلاحقه، قيل إن هذه الآية كانت سبب إسلام "كعب الأحبار" حين سمعها من قارئ ذات ليلة، ولم يكن عقد العزم بعد على الدخول في الإسلام - وإن كان الحق قد ظهر له وبان- فارتجف فؤاده وطار النوم من عينيه، وبات ليلته فرحاً متوجِّساً أن يصيبه هذا الوعيد، حتى طلع الفجر، فسارع إلى المسجد الجامع، وأعلن إسلامه.<sup>(5)</sup>

ويأتي الموضوع الثالث : في سياق الإجابة عن تعنتهم ومطالبهم العجيبة، بيان ما كان منهم في سالف الزمان من تمردٍ وعصيان، ووجودٍ ونسيان، فقد حذَّره الله من الاعتداء على حرمة السبت، لكنهم لم يمتثلوا لما أمر به الله، ولم ينتهوا عما نهي عنه الله، بل استمروا التمرد والعصيان، واستعدَّبوا الكفر والبهتان، بل كرروا مطالبهم المتعنتة، كما فعلوا مع أنبيائهم، فتشابهت جرائم اليوم بجرائم الأمس. قال تعالى { يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا (153) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ لَبَنٍ وَأَخَذُوا الْبَابَ سَجَدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } [النساء : 153، 154] . فهاهم الله عن الاعتداء في يوم السبت، وقد بينت المواضع الأخرى، موقف من انتهك حرمة هذا اليوم.

أما الموضوع الرابع: وعليه مدارٌ حديثنا: فقد جاء في سورة الأعراف في سياق بيان نعم الله عليهم وكيف قابلوها بالجحود والنسيان، والتحايل والعصيان، قال تعالى { وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْبَنَّا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166) } [الأعراف : 163 - 166].

(5) البغوي، معالم التنزيل (642/1) . كعب الأحبار رحمه الله تابعي أسلم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانتقل للمدينة المنورة وهو ثقة في الحديث وكان مشهوراً برواية الإسرائيليات . قال الذهبي عنه : " كُتِبَ بِنِ مَاتِعِ الْحَمِيرِيِّ، الْبِمَانِيِّ، الْعَلَامَةِ، الْحَبْرِيِّ، الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا، فَأَسْلَمَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدِيمِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْبَيْتِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَجَالَسَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَكَانَ يُحَدِّثُهُمْ عَنِ الْكُتُبِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، وَيَحْفَظُ عَجَائِبَ، وَيَأْخُذُ السُّنَنَ عَنِ الصَّحَابَةِ. الذَّهَبِيُّ، سير أعلام النبلاء (5 / 488) .

وسوف نفصل وجه مناسبة هذه الآيات لما قبلها، حيث سبق الكلام عن بني إسرائيل ومواقفهم المعتنّة مع نبي الله موسى عليه السلام.

وجاءت القصة هنا على وجه التفصيل، بينما أُجْمِلَتْ في المواضع الأخرى، ذلك أن تصريف الآيات بالتفصيل بعد الإجمال من خصائص أساليب القرآن الكريم، وكذا انسجام القصة مع سياقها، وامتزاجها مع مقاصد سورتها، وانتظامها مع محورها، وصدق الله تعالى إذ يقول { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا... } [الزمر: 23]. { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا } [الإسراء: 41].

ثم يأتي الموضوع الخامس في سورة النحل وهي مكية مبيناً كيف ضلوا واختلّفوا، واختاروا السبت فشدد الله عليهم، بأن حرّمه عليهم، قال تعالى { إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (124) } [النحل: 124]. عن مجاهد: "اتبعوه وتركوا الجمعة" (6). وعن السدي، قال: "إن الله فرض على اليهود الجمعة، فأبوا وقالوا: يا موسى: إنه لم يُخلَقْ يَوْمَ السَّبْتِ شيئاً، فاجعل لنا السبت، فلما جعل عليهم السبت استحلوا فيه ما حرّم عليهم" (7). وتعدية الفعل بـ "على" لتضمينه معنى الإيجاب والفرض، ولبيان كون تخصيص السبت ليس نعمة لهم، بل عقوبة وابتلاء، لتعنتهم وتنازعهم، قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب "ومن البلاء الذي أخذ الله به بني إسرائيل، أن جعل من شريعته حرمة العمل في يوم السبت، ولم يكن ذلك رحمة بهم، بل نكالا وبلاءً" (8). وسياق الآية الكريمة متسق مع قوله تعالى قبلها { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (117) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118) } [النحل: 116 - 118] إذ أن افتراءات اليهود، واستحلّاهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله حرّمهم من الفلاح وأوقعهم في الخيبة والخذلان، فحرم الله عليهم السبت عقوبة لهم، لاختلافهم العظيم، وجدلهم العقيم، والله تعالى عادلٌ في حكمه، لم يظلمهم بهذا البلاء، بل هو ثمرة لظلمهم وتعديهم.

وتحريم يوم السبت على اليهود دليل على نكوبهم عن ملة إبراهيم عليه السلام. قال تعالى في السياق ذاته { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123) } [النحل: 120 - 123].

(6) - مجاهد، التفسير (202/1). الصنعاني، عبد الرزاق، التفسير (279/2)، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم 13544.

(7) وأوردها ابن حجر في فتح الباري 355/2، وقال رحمه الله: "وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً} وغيره ذلك، وكيف لا وهم القائلون: سمعنا وعصينا. انتهى كلامه. فتح الباري 355/2. ذكره السيوطي في الدر المنثور 177/5 ونسبه إلى ابن أبي حاتم فقط.

(8) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (16/2).

## المبحث الثاني : القصة بإيجاز

قرية عامرة زاخرة، وهبها الله تعالى مزايا قلَّ أن تجتمع في غيرها من القرى، فهي آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً، وقد أشرفت على ساحل البحر، مما يؤاها مرفأً للصيد، وملتقى للتجارات، خيرٌ يتدفق وعطاءً مدراراً، وعيشٌ رغيدٌ، فما على أهل القرية إلا أن يشكروا ربهم ويخلصوا له الدين، بيد أن هناك من يُفسدُ النعيم، ويُطغيه المأل، وتلهيه الآمال، وتُعميه المطامع، فلا يُقيم للشريعة وزناً، ولا يحفظُ للأنبياء عهداً، بل يستخفُّ ويستتهين، ويلتمسُ الحيلَ ويصطنعُ المعاديرَ، للفتلُت من الأحكام، والتوثبُ على الحرام، بدافع الحرص والطمع، وبوزع الأناية والجشع، كما فعل أصحاب هذه القرية التي كانت هادئة هانئة، حرَّم الله على اليهود العملَ يوم السبت، بعد أن آثروا هواهم على ما فرض الله عليهم، فضَّلوا عن يوم الجمعة، وفضلوا يوم السبت، وافتروا على الله الكذب، فحرَّم الله عليهم العمل فيه، وابتلى أهل تلك القرية بظهور الحيتانِ شارعةً بالقرب من شواطئهم، فباتوا يتصنعون الحيلَ توسلاً بها إلى الحرام، حتى انتهكوا حرمة السبت، فنصبوا الشباك من يوم الجمعة ليلتقطوها يوم الأحد، وكثرت الحيلُ الشيطانيةُ فيهم وشاعت، حتى بات الحرامُ أمراً مألوقاً، وأمسى المنكرُ معروفاً، وصارت الحيلُ المحرمةُ مهارةً وتفنناً. فماذا عن موقفِ الدعاةِ المصلحين؟ لقد جنَّدوا أنفسهم لدعوة القوم ونصحهم، وملاحقتهم هنا وهناك بالكلمة الطيبة والموعظةِ البليغة، ولعل هناك من استجاب، لكن الغالبيةُ الدهماء بقيت سادرةً في غيها، مُنكبةً على صيدها، وبرزت طائفةٌ أخرى لم يقعو في المخطور بل كرهوه وقاطعوه، وإن لم يكونوا مع الواعظين الناهين؛ فقد دبَّ فيهم اليأسُ وتسلل الإحباطُ، فاستسلموا للواقع ولاذوا بالعزلة، منتظرين قضاء الله في الظالمين المحتالين، بل تعجَّبوا من حال إخوانهم المصلحين، كيف يُصَيِّعون أوقانهم مع أولئك الهالكين الذين لا تبدو في الأفق جدوى من نصحهم ولا ثمرة لدعوتهم، فبادروهم بسؤالٍ يُفصح عما جال في خاطرهم وجاش في صدورهم، { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الأعراف : 164]. فكانت تلك الطائفة السائلة على ثقة بوعيد الله في الظالمين، ولكنهم وجدوا أن لا فائدة لنصحهم، فكفوا عنه، وانتظروا عقاب الله لهم . فكانت الإجابة الشافية الجامعة، النابعة من نفوسٍ صافيةٍ وقلوبٍ مطمئنةٍ : { مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الأعراف:164]، إنها رسالتهم يؤدونها كما يجب، وحجَّتهم يُعدونها قبل أن تُنصَّب الموازين، ويقوم الناس لرب العالمين، مع إشفاقهم ورجائهم لإخوانهم المذنبين، أن يتوبوا ويرجعوا إلى ربهم، ويتذرعوا بالتقوى، لكن الأيام تمرُّ والزمان ينصرم، دون أن يترك بارقة أملٍ أو بادرة توبة، مما زاد القلوب قسوةً، وصارت النفوسُ أعظمَ توثباً وجرأةً، لما طال عليهم الأمد، فلا موعظةً تنفع، ولا نائبةً من نوائب الدهر تحلُّ وتردع، ولا قوةً للحق تمنع، والمحتال لا يزال يلهو ويرتع، ويخصب ويمرع، حتى انقضت أجلُ الإمهال وحلَّت ساعةُ النكال، وحقت كلمةُ العذاب، بما حاق وأوجع، ومسخَّهُم الله قردةً خاسعين ؛ لما انتكست نفوسُهُم وتردَّت أخلاقُهُم، فكانوا عبرةً للمعتبرين، وموعظةً للمتقين، وعاشوا ما تبقى لهم في جزِي وهوانٍ.

## المبحث الثالث : بيان القصة

قال تعالى { وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ نَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166) } [ الأعراف : 163 - 166 ] .

{ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ } لا يزال السياق في شأن اليهود، فبعد الحديث عن أمرهم بدخول بيت المقدس، وكيف تعنتوا وعاندوا، وبدلوا القول، قال تعالى { وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (162) } [الأعراف : 161 ، 162] . جاء الحديث عن قرية من القرى التي سكنها اليهود، وعانوا فيها فسادا، وهي قرية "أيلة" كما حكى كثير من المفسرين، تُشرف على لسان البحر الأحمر من جهة خليج العقبة، وفي سؤالهم عن القرية تذكير لهم بصفحة منسية في تاريخهم، وإقامة الحجّة عليهم؛ بأنه لا سبيل لمحمد ﷺ كي يعرف ذلك إلا عن طريق الوحي الإلهي، وإلا فأنت لهذا النبي العربي الأُمِّي الذي لم يقرأ ولم يكتب، ولم يتلق عن الأحرار أو الرهبان؟ فلم يبق إلا طريق واحد هو طريق الله تعالى، الذي قال { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (47) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ لِازْتَابِ الْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) } [العنكبوت : 47 - 49] .

وتأتي القصة قارعة لليهود زاجرة لهم، لئلا يصيبهم مثل ما أصاب أسلافهم حين احتالوا على شرع الله وانتهكوا محارم الله فأخذوا بالعذاب البئيس. { وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ } : سلهم سؤال تذكير وتأنيب، عن تلك القصة المنسية، وعن هذه الصفحة المطوية، سلهم سؤال تقرير وتحذير من سوء العاقبة، كما حلّ بمن سلف، فهل من معتبر! وفي التعبير عن تلك القرية بأنها كانت حاضرة البحر ما يدل على عظيم قدرها، كما قال أبو حيان: "يحتمل أن يريد معنى الحاضرة على جهة التعظيم لها، أي هي الحاضرة في قرى البحر ... فالتقدير حاضرة قرى البحر، أي يحضر أهل قرى البحر إليها لبيعهم وشراهم وحاجتهم".<sup>(9)</sup> كما يفيد وصفها بكونها حاضرة البحر أنها قريبة منه، لصيقة به، قال ابن عاشور: "ووصفت بأنها حاضرة البحر: بمعنى الاتصال بالبحر والقرب منه، لأن الحضور يستلزم القرب، وكانت (أيلة) متصلة بخليج من البحر الأحمر وهو القلزم"<sup>(10)</sup>. وكانت عامرة زاخرة، يمسي أهلها ويصبحون في نعم الله الوافرة، التي أفاضها عليهم من البر والبحر، فالبحر مصدر تربي بالخيرات، ومورد متجدد للنعم، والقرية بموقعها المتميز حاضرة البحر، كما يقال عن

(9) أبو حيان، البحر المحيط (4/ 332) باختصار.

(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير (8 / 327) .

الإسكندرية : عروس البحر، وكما يقول أهل مصر على مدغما النيلية : عروس النيل، أي زينته وحليته ودُرته . ومن ثمَّ جاء التعبير القرآني الدقيق عن القرية بأنها { كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ }، فنعمة الله في البحار لا تعدُّ ولا تحصى، وعلى ضِفافِ البحارِ وجَنَابَاتِ الأنهارِ كم شُيِّدت مدائنٌ، وُبُنِيَتْ حضاراتٌ، حتى الكثير من الطرق البرية كانت تسلكُ ساحلَ البحر، لسهولةِه ويُسرِه، ووضوحِ معالمِه، وكثرةِ حواضِرِه، فتنتعش القرى الساحلية، وتظل عامرةً .

{ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ } أي : يتجاوزون حدَّ الله فيه، وذلك باصطيادهم في هذا اليوم، وقد نُهوا عنه، فنقضوا العهدَ وتجاوزوا الحدَّ بانتهاكِهِمْ حُرْمَةَ هذا اليوم.

وكان الله تعالى قد فرض عليهم يومَ الجُمعة، فاختلفوا فيه وضلُّوا عنه واختاروا السبت، وعلَّلوا ذلك بالكذبِ والافتراءِ على الله تعالى، حيث أشاعوا أن الله تعالى استراح في هذا اليوم، بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام، فحلَّ في اليوم السابع للراحة، فابتلاههم الله تعالى بأن حرَّم عليهم العمل في هذا اليوم. قال تعالى { إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } [النحل : 124] . عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : (نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّهُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالْتَأَسُّ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، أَلِيَهُودُ عَدَا وَالنَّصَارَى بَعْدَ عَدِ) <sup>(11)</sup> . "وكان السبتُ تغليظاً على اليهود في رفض الأعمال وترك التبسيط في المعاش؛ بسبب اختلافهم فيه " <sup>(12)</sup> .

{ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا } : بظلم من بني إسرائيل وبسبب تعنتهم وتنطعهم ؛ حرَّم الله تعالى عليهم طيباتٍ كثيرةٍ كانت قد أُحِلَّتْ لهم، كما حرَّم الله تعالى عليهم العملَ يوم السبت ابتلاءً لهم، لما طَبِعُوا عليه من فُسُوقٍ وعصيانٍ، وِجُودٍ ونِسْيَانٍ، ومن جملةِ البلاءِ أن تأتِيهم الحيتان يوم سبتهم شُرَعًا، تروح وتغدو شارعاً، ظاهرةً على الماء من كل ناحية، تلوح كأنها شرع السفن. : وشُرَعًا: "جمع شارع، من شرع عليه إذا دنا وأشرف، أي: تأتِيهم ظاهرة على وجه الماء، طافية فوقه، قريبة من الساحل". <sup>(13)</sup> . وفي اللباب لابن عادل: " ومعنى شُرَعًا أي ظاهرة على الماء كثيرة . من شرع فهو شارع ، ودار شارعة أي : قريبة من الطريق ، ونجوم شارعة أي : دنت من المغيب ، وعلى هذا فالحيتان كانت تَدُنُّوا من القرية بحيث يمكنهم صيدها. وقال الضَّحَّاكُ : متتابعة . " <sup>(14)</sup> . وفي اللسان والشِّراعُ العُنُقُ وربما قيل للبعير إذا رَفَعَ عُنُقَهُ رَفَعَ شِرَاعَهُ " <sup>(15)</sup> .

(11) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، كتاب الجمعة - باب فُرُضِ الْجُمُعَةِ حديث 876 ، ( 1 / 299 ) ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة - باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ( 2 / 585 ) 19 - ( 855 ) .

(12) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ( 10 / 199 ) .

(13) إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين درويش ( 3 / 482 ) .

(14) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل ( 9 / 358 ) .

(15) لسان العرب، لابن منظور، ( 8 / 175 ) .

وإضافة السبت لهم لاختصاصهم به لكونه محرماً عليهم العمل فيه، " ... فتقرب الحيتان وتكثر حتى يمكن أخذها باليد، فإذا كان ليلة الأحد غابت بجملتها، وقيل غاب أكثرها ولم يبق منها إلا القليل الذي يتعب صيده ... ففتنهم ذلك وأضر بهم، فتنطقوا إلى المعصية بأن حفرها حفراً يخرج إليها ماء البحر على أخدود، فإذا جاء الحوت يوم السبت وحصل في الحفرة ألقوا في الأخدود حجراً فمنعوه الخروج إلى البحر، فإذا كان الأحد أخذه فكان هذا أول التطرُّق" (16).

{ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } : فهذا من ابتلاء الله لهم بسبب ما كانوا عليه من فسق ظاهر، كما يفيد التعبير بالفعل المضارع على استمرارهم وإصرارهم على الفسوق الذي كان سبب بلائهم، فما نَجَّوْا من هذا البلاء بل وقعوا في المحذور باحتيالهم على شرع الله، وانتهاكهم حرمة هذا اليوم الذي حرّمه الله، حتى سرّث هذه الحيل وعمّت، وانتشرت في القرية انتشار النار في الهشيم، وبارشها عامّة الناس إلا من عصمه الله تعالى من الصلحاء الأتقياء الذين انقسموا إلى طائفتين : الأولى: بادرت إلى الإنكار وأدّت واجبها في النصّح والإرشاد.

والثانية : غلبها اليأس وهزمها العجز، فأنث بنفسها، واعتزلت من حولها، وباتت ترثب عذاب الله للعصاة الذين تجاوزوا الحدود . { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) } . حيث اجتمع الصلحاء وتجاوزوا وتشاوروا في شأن المفسدين، فتساءلت طائفة منهما عن جدوى المواعظ وفائدتها مع أولئك المشرفين على الهلاك، المستوجبين للعذاب! المصرين على العصيان! سألو سؤال المتعجب، علّمهم يجدون للواعظين حجة، فيلتقي الفريقان وتتمتع الطائفتان على كلمة سواء : تقول الطائفة الأولى : { لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا } بسبب تمردهم وعصيانهم ومكرهم واحتيالهم !

وقد أفصح هذا القول عن إنكارهم، وأبان عن تبرؤهم من صنيع الراكبين متن الحيل إلى ما حرّم الله، وعن يقينهم بعذاب وهلاك أولئك الفسّاق، وإن لم يكلفوا أنفسهم عناء الإنكار على المحتالين، أو لعلمهم فعلوا ذلك مراراً ثم كفّوا عنه، لعدم جدواه في نظرهم. لكن جواب الواعظين كان شافياً كافياً، جامعاً وقاطعاً لكل ما يتبادر في النفوس من حيرة وتساؤل، حيث قالوا : { مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } . فهم يؤدّون واجبهم الشرعي الذي سبّألون عنه : أتمّر أم لم يُتمّر، لكنهم بأي حال على رجاءٍ وأملٍ في استجابتهم وامتثالهم، فليس الأمر مجرد رسالة تؤدّي وأمانة يُلقبها الداعية عن كاهله، أو كلمة يقولها ثم ينصرف مأجوراً، بل هي رسالة حبّ ورحمة، رسالة أملٍ ورجاءٍ. فكان هدفهم من مواعظهم أداء واجبهم، مع رجائهم في هداية غيرهم { مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم } (17)، أي : لِنُعْذَرَ فِيهِمْ، ونقيم الحجة عليهم،

(16) ابن عطية، المحرر الوجيز، (3 / 113) بتصرف .

(17) قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر - (2 / 272) : (وَاحْتَلَفُوا) فِي مَعْذِرَةٍ، فَرَوَى حَفْصٌ بِالنَّصْبِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ . وقولهم : ( مَعْذِرَةٌ ) : قُرِئَتْ بِالرَّفْعِ : أَي مَا نَفَعَلَهُ مَعْذِرَةٌ، أَوْ هَذِهِ مَعْذِرَةٌ، أَوْ مَوْعِظَتُهُمْ مَعْذِرَةٌ، وَبِالنَّصْبِ : ( مَعْذِرَةٌ ) أَي فَعَلْنَا ذَلِكَ مَعْذِرَةً ؛ أَي لِأَجْلِ الْمَعْذِرَةِ، أَوْ نَعِظُهُمْ مَعْذِرَةً، قَالَ فِي إِخْفِ فِضْلَاءِ الْبَشَرِ فِي الْقِرَاءَاتِ الْأَرْبَعَةِ عَشْرَ (1 / 410) : " وَاخْتَلَفَ فِي ( مَعْذِرَةٍ ) فَحَفْصٌ بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ أَوْ وَعِظَانَهُمْ لِأَجْلِ الْمَعْذِرَةِ أَوْ عَلَى الْمَصْدَرِ أَوْ تَعَذَّرَ مَعْذِرَةً أَوْ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ لِأَنَّ الْمَعْذِرَةَ تَتَضَمَّنُ كَلَامًا وَحِينَئِذٍ تَنْصَبُ بِالْقَوْلِ كَقَلَّتْ خُطْبَةٌ... وَالْعَذْرُ التَّنَصُّلُ مِنَ الذَّنْبِ " .

{ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } أي يتحاشون الذنوب والعصيان، ويخافون الملك الديان، فنحن لا نياأس من موعظتهم، ولا نملئ من نصيحهم أملا في رجوعهم .

" قال جمهور المفسرين : إن بني إسرائيل افتقرت ثلاث فرق : فرقة عصت وصادت وكانت نحو سبعين ألفاً، وفرقة اعتزلت فلم تنه ولم تعص، وفرقة اعتزلت ونهت ولم تعص، فقالت الطائفة التي لم تنه ولم تعص للفرقة الناهية : { لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا } ؟ يريدون الفرقة العاصية { الله مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ } قالوا ذلك على غلبة الظن لما جرت به عادة الله من إهلاك العصاة أو تعذيبهم، من دون استئصال المهلاك، فقالت الناهية : موعظتنا معذرة إلى الله ولعلمهم يتقون . ولو كانوا فرقتين فقط ناهية غير عاصية، وعاصية لقال : لعلكم تتقون (18) .

{ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَيِّسٍ مِمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) } : حتمًا هناك من أصم الآذان وقابل المواعظ بالاستخفاف والإعراض، كما كان لهذه المواعظ أثرها الفعلي على القليل، وأثرها الوقفي لدى آخرين، لكنها سرعان ما تلاشت لتعود نفوسهم متعطشة من جديد إلى التوثب على محارم الله، ناسية مواعظ الواعظين وغافلة عن تذكرة المذكرين، حتى أخذ العصاة بالعذاب الأليم الشديد الوجيع الكئيب، الذي لا رجعة فيه .

{ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ } أي : تجاوزوا الحد في معصية الله سبحانه تمرداً وتكبراً، وإعراضاً عن المواعظ وإغفالاً للزواجر، " قال ابن عباس " أبوا أن يرجعوا عن المعصية " والعتو : هو الإباء والعصيان " (19) . " وقيل : العاتي هو المبالغ في ركوب المعاصي ، وقيل : المتمرد الذي لا ينفع فيه الوعظ والتنبية " (20) .

{ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ } : بُعْدَاءٍ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَي : أَمْرَانَهُمْ أَمْرًا كُونِيًّا لَا أَمْرًا شَرْعِيًّا، فمسخناهم قردة، قيل : إنه سبحانه عدبهم أولاً بسبب المعصية، فلما لم يُقْلِعُوا مَسَخَهُمْ قِرَدَةً . (21) . ووصف القردة بأنها خاسئة: أي حقيرة ذليلة طريفة، زيادة في عقوبتهم، وفرقا بينهم وبين القردة التي خلقها الله ابتداءً، فتلك خلقه الله لها، أما هم فتلك عقوبتهم، "وروي أن الناهين قسّموا المدينة بينهم وبين العاصين بجدار، فلما أصبحوا ليلة أهلك العاصون، لم يفتح مدينة العاصين حتى ارتفع النهار، فاستراب الناهون لذلك، فطلع أحد الناس

(18) الشوكاني، فتح القدير - (3 / 108) . ويراجع: ابن عطية، المخر الوجيز (2 / 537)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (7 / 307) . وتحديد العدد : لم يرد فيه نص، فالله أعلم به.

(19) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (9 / 365).

(20) نظم الدرر ، للبقاعي (3 / 229) .

(21) يراجع : الطبري، جامع البيان (13 / 203) .

على السور، فرأهم مسوخين قردة تتوالب، فصاح، فدخلوا عليهم يعرف الرجل قرابته ويعرف القرد أيضاً كذلك قرابته، وينضمون إلى قرابتهم فيتحسرون " . (22)

وروى الطبري عن مالك، قال : زعم ابن رومان<sup>(23)</sup> أن قوله : { تَأْتِيهِمْ حِينَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا ... } قَالَ : كَانَتْ تَأْتِيهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ، فَإِذَا كَانَ الْمَسَاءُ ذَهَبَتْ فَلَا يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى السَّبْتِ، فَاتَّخَذَ لِذَلِكَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَيْطًا وَوَتْدًا، فَرَبَطَ حَوَاتًا مِنْهَا فِي الْمَاءِ يَوْمَ السَّبْتِ، حَتَّى إِذَا أَمْسُوا لَيْلَةَ الْأَحَدِ أَخَذَهُ فَاشْتَوَاهُ، فَوَجَدَ النَّاسُ رِيحَهُ، فَأَتَوْهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَجَحَدَهُمْ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى قَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ جَلِدُ حَوَاتٍ وَجَدْنَاهُ، فَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ الْآخِرُ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا أَدْرِي لَعَلَّهُ قَالَ : رَبَطَ حَوَاتَيْنِ، فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ لَيْلَةِ الْأَحَدِ أَخَذَهُ فَاشْتَوَاهُ، فَوَجَدُوا رِيحَهُ، فَجَاءُوا فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ : لَوْ شِئْتُمْ صَنَعْتُمْ كَمَا أَصْنَعُ، فَقَالُوا لَهُ : وَمَا صَنَعْتَ ؟ فَأَخْبَرَهُمْ، فَفَعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلَ، حَتَّى كَثُرَ ذَلِكَ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَدِينَةٌ لَهَا رِضٌّ، فَعَلَّقُوهَا عَلَيْهِمْ، فَأَصَابَهُمْ مِنَ الْمَسْخِ مَا أَصَابَهُمْ، فَعَدَا إِلَيْهِمْ جِيرَانُهُمْ مِمَّنْ كَانَ يَكُونُ حَوْلَهُمْ، يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ مَا يَطْلُبُ النَّاسُ، فَوَجَدُوا الْمَدِينَةَ مُغْلَقَةً عَلَيْهِمْ، فَنَادَوْا فَلَمْ يُجِيبُوهُمْ، فَتَسَوَّرُوا عَلَيْهِمْ، فَإِذَا هُمْ قِرْدَةٌ، فَجَعَلَ الْقِرْدُ يَدْنُو وَيَتَمَسَّحُ بِمَنْ كَانَ يَعْرِفُ قَبْلَ ذَلِكَ وَيَدْنُو مِنْهُ وَيَتَمَسَّحُ بِهِ. (24)

وعن عكرمة<sup>(25)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ابْتَدَعُوا السَّبْتَ، فَأَبْتَلُوا فِيهِ، فَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ فِيهِ الْحَيْتَانُ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ شَرَعَتْ لَهُمْ الْحَيْتَانُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا فِي الْبَحْرِ، فَإِذَا انْقَضَى السَّبْتُ ذَهَبَتْ، فَلَمْ تَرَ حَتَّى السَّبْتِ الْمُقْبِلِ، فَإِذَا جَاءَ السَّبْتُ جَاءَتْ شُرْعًا، فَمَكَثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكُثُوا كَذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ حَوَاتًا فَحَزَمَ أَنْفَهُ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ وَتْدًا فِي السَّاحِلِ وَرَبَطَهُ وَتَرَكَهُ فِي الْمَاءِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَهُ فَشَوَاهُ فَأَكَلَهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَلَا يُنْكِرُونَ، وَلَا يَنْهَاهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا عَصَبَةٌ مِنْهُمْ نَهَوْهُ، حَتَّى ظَهَرَ ذَلِكَ فِي الْأَسْوَاقِ وَفُعِلَ غَلَايِيَةً، قَالَ : فَقَالَتْ طَائِفَةٌ لِلَّذِينَ يَنْهَوْنَ : { لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ } فِي سَخَطِنَا أَعْمَالَهُمْ { وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ } . إِلَى قَوْلِهِ : { فَلَمَّا هُمْ كُونُوا قِرْدَةً حَاسِنِينَ } (26)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانُوا أَثْلَانًا : ثَلَاثُ نَهْوًا، وَثَلَاثُ قَالُوا : { لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ }، وَثَلَاثُ أَصْحَابِ الْخَطِيئَةِ . فَمَا نَحَا إِلَّا الَّذِينَ نَهَوْا، وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ، فَأَصْبَحَ الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ السُّوءِ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجَالِسِهِمْ يَتَفَقَّدُونَ النَّاسَ لَا يَرَوْنَهُمْ، فَعَلَّفُوا عَلَيْهِمْ دُورَهُمْ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ

(22) ابن عطية، المحرر الوجيز (3 / 116) بتصرف .

(23) يزيد بن رومان الأسدي، أبو روح المدني، مولى آل الزبير بن العوام، من صغار التابعين ت 130 هـ ثقة ثبت فقيه قارئ محدث. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء (1 / 444).

(24) الطبري، جامع البيان، (10 / 520) . والريضا ما حول المدينة من فضاء لا دور فيه.

(25) عكرمة ، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس، ثقة ثبت عالم بالتفسير ت 104 هـ ، وقيل بعد ذلك ب المدينة ، روى له الشيخان وأصحاب السنن الأربعة . انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء (9 / 11) .

(26) الطبري، جامع البيان، (10 / 514) .

: إِنَّ لِلنَّاسِ لَشَأْنًا، فَاَنْظُرُوا مَا شَأْنُهُمْ، فَاطَّلَعُوا فِي دُورِهِمْ، فَإِذَا الْقَوْمُ قَدْ مُسِحُوا فِي دِيَارِهِمْ قِرْدَةً، يَعْرِفُونَ الرَّجُلَ بَعِيْنِهِ وَإِنَّهُ لَقِرْدٌ، وَيَعْرِفُونَ الْمَرْأَةَ بَعِيْنَهَا وَإِنَّهَا لَقِرْدَةٌ، قَالَ اللهُ: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} (27).

ولكن ورد عن عكرمة مولى ابن عباس وتلميذه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَالْمُصْحَفُ فِي حِجْرِهِ وَهُوَ يَبْكِي، فقلتُ: مَا يُبْكِيكَ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: فَقَرَأَ: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} إِلَى قَوْلِهِ: {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا أَسْمَعُ الْفِرْقَةَ الثَّالِثَةَ ذُكِرَتْ! نَحَافُ أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُمْ. فقلتُ: أَمَا تَسْمَعُ اللهُ يَهْوُلُ: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهَوُا عَنْهُ}؟ فَسَرِي عَنَّهُ، وَكَسَابِي حُلَّةً (28). أَي فَكَانَتْ عَقُوبَةُ الْمَسْخِ لِمَنْ اقْتَرَفَ، دُونَ مَنْ لَمْ يَقْتَرَفْ، أَنْكَرَ أَمْ لَمْ يَنْكَرَ.

وفي رواية: " قَالَ: فَأَرَى الْيَهُودَ الَّذِينَ نَهَوْا قَدْ نَجَّوْا، وَلَا أَرَى الْآخِرِينَ ذُكِرُوا، وَنَحْنُ نَرَى أَشْيَاءَ نَنْكَرُهَا فَلَا نَقُولُ فِيهَا! قَالَ قلتُ: جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ قَدْ كَرِهُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَخَالَفُوهُمْ؟ وَقَالُوا: {لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ}؟ قَالَ: فَأَمَرَ بِي فَكُسِبَتْ بُرْدَيْنِ غَلِيظَيْنِ. (29)

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: " كَانُوا قَدْ بُلُّوا بِكَفِّ الْحَيَاتَانِ عَنْهُمُ، وَكَانُوا يَسْتَبُونَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، وَلَا يَعْمَلُونَ فِيهِ شَيْئًا، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ أَتَتْهُمُ الْحَيَاتَانُ شُرْعًا، وَإِذَا كَانَ غَيْرُ يَوْمِ السَّبْتِ لَمْ يَأْتِ حُوتٌ وَاحِدٌ، قَالَ: وَكَانُوا قَوْمًا قَدْ فُرِنُوا بِحُبِّ الْحَيَاتَانِ، وَأَلْقُوا مِنْهُ بِلَاءً، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حُوتًا، فَرَبَطَ فِي ذَنْبِهِ حَبِيطًا، ثُمَّ رَبَطَهُ إِلَى خَشْبَةٍ، ثُمَّ تَرَكَهُ فِي الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا عَرَبَتِ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ اخْتَرَهُ بِالْحَبِيطِ، ثُمَّ شَوَاهُ .

فَوَجَدَ جَارًا لَهُ رِيحَ حُوتٍ، فَقَالَ: يَا فَلَانُ إِنِّي أَجِدُ فِي بَيْتِكَ رِيحَ نُونٍ، فَقَالَ: لَا. قَالَ: فَتَطَّلَعَ فِي تَنْوَرِهِ فَإِذَا هُوَ فِيهِ فَأَخْبَرَهُ حِينَئِذٍ الْحَبْرَ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللهُ سَبْعَ ذُبَابٍ! قَالَ: فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ عَجَلَ عَدَابًا، فَلَمَّا أَتَى السَّبْتَ الْآخَرَ أَخَذَ اثْنَيْنِ فَرَبَطَهُمَا، ثُمَّ أَطْلَعَ جَارًا لَهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ لَمْ يُعْجَلْ عَدَابًا جَعَلُوا يَصِيدُونَهُ، فَاطَّلَعَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ عَلَيْهِمْ، فَنَهَاهُمُ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَكَانُوا فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ تَنْهَاهُمْ وَتَكْفُفُ، وَفِرْقَةٌ تَنْهَاهُمْ وَلَا تَكْفُفُ، فَقَالَ الَّذِينَ نَهَوْا وَكَفُّوا لِلَّذِينَ يَنْهَوْنَ وَلَا يَكْفُونَ: {لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَدَابًا شَدِيدًا} فَقَالَ الْآخَرُونَ: {مُعَذِّبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} فَقَالَ اللهُ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ}. إِلَى قَوْلِهِ: {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} قَالَ اللهُ: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهَوُا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ} وَقَالَ لَهُمْ أَهْلُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ: عَمِلْتُمْ بِعَمَلِ سُوءٍ، مَنْ كَانَ يُرِيدُ يَعْتَرِلُ وَيَنْطَهَّرُ فَلْيَعْتَرِلْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَاعْتَرَلَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فِي مَدِينَتِهِمْ، وَضَرَبُوا بَيْنَهُمْ سُورًا، فَجَعَلُوا فِي ذَلِكَ السُّورِ أَبْوَابًا يَخْرُجُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ طَرَفَهُمُ اللهُ بِعَدَابِهِ، فَأَصْبَحَ أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ لَا يَرَوْنَ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ، فَإِذَا هُمْ قِرْدَةٌ، الرَّجُلُ وَأَزْوَاجُهُ وَأَوْلَادُهُ. فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الرَّجُلِ يَعْرِفُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا فَلَانُ أَلَمْ نُحَذِّرَكَ سَطَوَاتِ اللهُ؟ أَلَمْ نُحَذِّرَكَ نَعْمَاتِ اللهُ؟ وَنُحَذِّرَكَ وَنُحَذِّرَكَ؟ قَالَ: فَلَيْسَ إِلَّا بُكَاءً. قَالَ: وَإِنَّمَا عَدَّبَ اللهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الَّذِينَ أَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: وَأَمَّا الَّذِينَ نَهَوْا

(27) الطبري، جامع البيان، (10 / 514).

(28) نفس المرجع (10 / 517).

(29) نفس المرجع (10 / 517).

فَكُلُّهُمْ قَدْ نَهَى، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ . فَقَرَأَ : {أُنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} . (30)

### المبحث الرابع : دروس وعبر مستفادة من القصة

من هذه القصة العجيبة، نلتمس كثيرا من الدروس والعبر، فلقد جعلها الله موعظة للمتقين، ونكالا للعصاة المختالين، قال تعالى في سورة البقرة مخاطبا بني إسرائيل { وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (66) }، فهم أحق من يعتبر بها، كذلك فيها لنا العظة والاعتبار، وسأشير في هذا المبحث إلى ما حضرنى من فوائدها .

#### أولا : تحذير اليهود والحذر منهم ومن الوقوع فيما وقعوا فيه

تكشف لنا هذه القصة عن صفحات مطوية من تاريخ اليهود، والحكمة من نشر هذه الصفحات: تحذير اليهود الذين يسلكون هذه المسالك الملتوية، ويركبون متن هذه الحيل المحرمة من معبة الذنوب والعصيان وعاقبة الخداع والاحتيال . وفي القصة تحذير لنا من سوء طبائع اليهود وخبث طويتهم، وخداعهم حتى نكون في معاملتهم على حذر، وأن نحذر الوقوع فيما وقعوا فيه حتى لا يصيبنا ما أصابهم . وتلك القرية نموذج للمجتمع اليهودي، الذي يسود فيه الكذب والخداع وتعلو أصوات العصاة والمختالين، بينما يخفت نداء العدل، ويُصَادَرُ صوت الحق، ويقالُ الناصحون، بل تتبدد دعواتهم في وسط الزحام، وتضيع جهودهم في قلب الركام، كما هو الحال الآن في " الكيان الصهيوني " الذي غرسته أيد الاستعمار الآثمة في قلب الأرض المقدسة، ومع ما جُبلت عليه قلوب المعتصبين من قسوة وغدرٍ وعداوةٍ وبغضاء، إلا أنَّ تلك المجتمعات لا تخلو من وجود قليلٍ من المنصفين هذه القلة القليلة قد بَحَّتْ أصواتها في وجه المعتدين لكنَّ أصواتهم لا تكادُ تُسمعُ في قلبِ هذا الصَّخْبِ والضجيج . والقصة تدلُّ على إنصاف القرآن الكريم : فكما دَكَرَ هذا المثال السيئ للمختالين على شرع الله، دَكَرَ النَّمُوذَجَ الصَّالِحَ لِلْمُصْلِحِينَ الواعظين من بني إسرائيل من الناصحين الصادقين . ولا يزال

(30) الطبري، جامع البيان، (10 / 517) . والوالبه : الفرح من الزرع يُخْرَجُ في أصل الكبير . ويقال : وَلَبَّ الزَّرْعُ ، إذا خرجت له فراخ . ابن دريد، الاشتقاق (1 / 492) . وفي الصحاح (2 / 293) : الوالب: الذاهب في الشيء الداخل فيه... وولب بنو فلان : كثُرَ عَدُوَّهُمْ ، وَمَمَّا . وَخَزَمَ (البعير) يُخْزِمُهُ خِزْمًا : ( جَعَلَ فِي جَانِبِ مَنْجَرِهِ الْخِزْمَةَ ككِتَابَةٍ، لِلْبُرَّةِ)، وهي حلقه من شعر يُجْعَلُ في وَتْرَةِ أَنْفِهِ يُشَدُّ بِهَا الرِّمَامُ . الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (32 / 78). ونزلوا في ريش المدينة والقصر وهو ما حوهمها من مساكن الجند وغيرهم. تاج العروس (18/330). وابن زيد هو : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، لم يدرك إلا بعض التابعين وَكَانَ صَاحِبَ قُرْآنٍ وَتَفْسِيرٍ، جَمَعَ تَفْسِيرًا فِي مُجَلِّدٍ، وَكِتَابًا فِي النَّاسِخِ وَالْمُنْسُوخِ. تُوفِّي: سَنَةَ 182هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء (15/362).

اليهود يمارسون التحايل على حرمة السبت في شريعته بالحيل المصطنعة التي تنمَّ عمدًا طُبعوا عليه من المراوغة والتفُّلت والأخذ ببعض الأحكام وترك الباقي، وبعض هذه الحيل قد يُثير الضحك وربما الاشمئزاز مما صار إليه حالهم . (31)

**ثانيا : القصة دليل قاطع على صدق نبينا ﷺ؛** لأنه لا سبيل لمعرفة هذه الأحداث إلا بالوحي الإلهي، فهي حجة ظاهرة على نبوته ﷺ؛ ذلك أن هذه القصة نشرت صفحات مطوية في تاريخ اليهود، لطالما تواطفوا على كتمانها، بينما كان النبي العربيُّ أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يختلف إلى أحد من أهل الكتاب، ولم يخاطبهم، حتى يُطلعوه على خباياهم، وصدق الله تعالى إذ يقول { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (47) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49) } [العنكبوت:47-49] . قال الرازي : " ولما كان النبي ﷺ رجلاً أمياً لم يتعلم علماً، ولم يطالع كتاباً، ثم إنه يذكر هذه القصص على وجهها من غير تفاوتٍ ولا زيادةٍ ولا نقصانٍ، كان ذلك جارياً مجرى المعجز . (32)

**ثالثا : سنة الابتلاء :** الابتلاء كما يقع بالخير يقع بالشر، فيكون بالفتن والحسن، كما يكون بالنعم والمنح . " ابتلى الله أهل تلك القرية بنوع من البلاء قد غفل عنه الكثير من الناس اليوم؛ حيث إن الناس يحسون الابتلاء نوعين: إما بالخير ورغد العيش، وإما بالشر والمصائب، ويستشهدون بقول الله تعالى { وَنَبَلُّوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْبَرِ فَتَنَّا وَابْتَلَيْنَا تَرْجَعُونَ } [الأنبياء:35]، ويجهلون معناها، والحق أن هناك نوعاً ثالثاً هو أشد الأنواع وأخطرها، وقد رتب الله على من أخفق وخسر فيه عقوبةً شديدةً، ألا إنه الابتلاء بالمعاصي والفتن، فأولئك القوم قد نهاهم الله عن صيد السمك يوم السبت، فصار السمك في حقهم في ذلك اليوم معصية وإثمًا، ثم قرّبه الله إليهم ويسرّه لهم ليلتيهم ويختبرهم " . (33) قال الرازي : " وقوله : { كَذَلِكَ نَبَلُّوهُمْ } أي مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم، وذلك يدلُّ على أن من أطاع الله تعالى خفف الله عنه أحوال الدنيا والآخرة، ومن عصاه ابتلاه بأنواع البلاء والحسن " . (34)

(31) ونظراً لأنه محرّم على اليهود القيام بأي نشاط في يوم السبت (مثلاً إيقاد النار بما في ذلك النار التي تُوقَد للطهو)، فقد نتج عن ذلك أسلوب في إعداد الطعام يتمثّل في الطهي على نار هادئة ابتداءً من مساء يوم الجمعة وحتى يوم السبت. كما تم التوصل كذلك إلى مصابيح كهربائية ذات مفاتيح زمنية يتم ضبطها قبل يوم السبت، بحيث تنير من تلقاء نفسها يوم السبت. كما أفتى أحد المحاخامات أنه لا مانع من أن تقوم القروء أو الكلاب المدربة على إطفاء الأنوار (يوم السبت) والقيام بأعمال منزلية أخرى، إذا لم تكن هذه الحيوانات من ممتلكات العائلة (ففي هذه الحالة تُعتبر جزءاً من الأسرة) وعليها أن ترتاح مع باقي أعضاء الأسرة. كما صرّح بلعب كرة القدم يوم السبت على أن تُباع التذاكر يوم الجمعة لحزمة البيع يوم السبت. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (7 / 104)

(32) الرازي، التفسير الكبير (15 / 391) .

(33) د. محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن (1 / 575) .

(34) الرازي، التفسير الكبير (15 / 319) .

رابعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقاصده العلياء، فهو واجب شرعي وأمرٌ ضروريٌّ، وهو الطريقُ إلى الإصلاح المنشود، والسبيلُ إلى الفلاح المأمول، قال تعالى { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [104]. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيامٌ بواجبٍ حتميٍّ، وأداء رسالةٍ ساميةٍ، وليس كما يدّعيه البعض أنه حجرٌ على العقول وتقييدٌ للحريات وحبسٌ للأنفاس وتضييقٌ على الناس، أو تدخلٌ في شئوهم، وتعرضٌ لخصوصياتهم، أو اعتداءٌ على حرياتهم وسلبٌ لإرادتهم، بل هو قيمةٌ إنسانيةٌ عظيمةٌ، وشرعةٌ ربانيةٌ حكيمةٌ، ورسالةٌ إيجابيةٌ كريمةٌ، { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ } { هود : 116 }. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ( إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّفْسُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَجِلُّ لَكَ! ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْبَلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَرَأَ ﷻ { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } {78} كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } {79} } [سورة المائدة]، ثُمَّ قَالَ : (كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا ) (35).

وعن التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤَدِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا). (36).

قال ابن العربي : "لَمَّا فَعَلُوا هَذَا نَهَاهُمْ كِبَرَاؤُهُمْ، وَوَعظُهُمْ أَحْبَابُهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ، فَاسْتَمَرُّوا عَلَى نَهْيِهِمْ لَهُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْ مِنَ التَّمَادِي عَلَى الْوَعظِ وَالنَّهْيِ عَدَمُ قَبُولِهِمْ؛ لِأَنَّهُ فَرَضَ قَبْلَ أَوْ لَمْ يَقْبَلْ، حَتَّى قَالَ لَهُمْ بَعْضُهُمْ : { لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ } ؟ يَعْنِي فِي الدُّنْيَا، { أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا } فِي الْآخِرَةِ ؟ قَالَ لَهُمُ النَّاهُونَ : مَعَذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، أَيُّ نَعْمٍ يَفْرَضِنَا ؛ لِيَتَّبِعَتْ عُدْرُنَا عِنْدَ رَبِّنَا . (37).

(35) رواه أبو داؤد في السنن كتاب الملاحم. باب الأمر والنهي. الحديث رقم: 4336. وابن ماجه في السنن - كتاب الفتن. باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الحديث رقم: 4006- والترمذي في السنن وقال حسن غريب - سنن الترمذي كتاب التفسير باب 6 ومن سورة المائدة حديث 3058 وأحمد في مسنده 391/1. ورواه الطبراني في معجمه الكبير (8 / 486) ح 10116، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . (7 / 209) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. ورواه الطحاوي في مشكل الآثار بإسناد متصل (984)

(36) صحيح البخاري كتاب الشركة باب هل يفرع في القسمة والاستهام فيه (2 / 882) حديث 2361. (استهموا) اقترعوا ليأخذ كل منهم سهمًا أي نصيبًا. (أخذوا على أيديهم) منعوهم من خرق السفينة.

(37) ابن العربي، أحكام القرآن (3 / 491).

خامسا : ذم الحيل غير المشروعة : الذي يحتال على شرع الله : ضعاف الإيمان، المستغرقون في المعاصي والشهوات، أصحاب المطامع والأهواء، أما صاحب القلب السليم، المعظم لله، الراجي رحمته فإنه بمنأى عن هذه الحيل، يأنف مقاربتها. " إن الشريعة والأوامر والتكاليف لا يعرفها إلا القلب المؤمن التقى، وإن القلوب الأخرى تكثر من التحايل على الأوامر والتكاليف، مثلما فعل اليهود، وهذا هو سرُّ نجاح الإسلام في تشريعه ونصوصه، حيث أحيا قلوب المؤمنين، وربطها بالله، فالتزمت القلوب بالنصوص والتشريعات، وهذا هو سرُّ فشل الأديان المحرفة والوضعية والأنظمة المناهج والقوانين الأرضية، لأنها تغفل التعامل مع القلوب وتصطدم بالواقع ولا تضع حلولاً ناجعة لمشاكل الإنسان وأزماته ولا تلبّي حاجياته، مما يؤدي إلى تفلت الإنسان ومراوغته بالحيل".<sup>(38)</sup>

وتحدّرنا هذه القصّة من معبّة الحيل المحرّمة، وما تُفضي إليه من وبالٍ وخسرانٍ .

يقول صاحب الظلال : " وما أكثر الحيل عندما يلتوي القلب، وتقلُّ التقوى، ويصبح التعامل مع مجرد النصوص، ويراد التفلت من ظاهر النصوص! إن القانون لا تحرسه نصوصه، ولا يحميه حراسه. إنما تحرسه القلوب التقية التي تستقر تقوى الله فيها، فتحرس هي القانون وتحميه. وما من قانون تمكن حمايته أن يحتال الناس عليه! ما من قانون تحرسه القوة المادية والحراسة الظاهرية! ولن تستطيع الدولة - كائناً ما كان الإرهاب فيها - أن تضع على رأس كل فرد حارساً يلاحقه لتنفيذ القانون وصيانته؛ ما لم تكن خشية الله في قلوب الناس، ومراقبتهم له في السر والعلن .. من أجل ذلك تفشل الأنظمة والأوضاع التي لا تقوم على حراسة القلوب التقية. وتفشل النظريات والمذاهب التي يضعها البشر للبشر ولا سلطان فيها من الله .. ومن أجل ذلك تعجز الأجهزة البشرية التي تقيمها الدول لحراسة القوانين وتنفيذها. وتعجز الملاحقة والمراقبة التي تتابع الأمور من سطوحها!"<sup>(39)</sup> .

وقال ابن العربي : "هذه الآية من أمّهات الشريعة، وفيها مسائل... منها : إنّ الله أمرَ رَسولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْأَلَ الْيَهُودَ إِحْوَةَ الْقَرْدَةِ وَالْحَنَازِيرِ عَنِ الْقَرْيَةِ الْبَحْرِيَّةِ الَّتِي اعْتَدَوْا فِيهَا يَوْمَ السَّبْتِ، فَمَسَحَهُمُ اللهُ بِاعْتِدَائِهِمْ قَرْدَةً وَحَنَازِيرَ، لِيُعْرِفَهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِتَغْيِيرِ فَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ، فَكَيْفَ بِتَغْيِيرِ أَصْلِ الشَّرِيعَةِ"<sup>(40)</sup> . وضابط ما يجوز وما لا يجوز من الحيل : أن كل طريق مشروع يترتب على سلوكه تحقيق مقاصد الشرع من فعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه وإحياء الحقوق ونصر المظلوم والانتصاف من الظالم : فهو حلال مباح أو مستحب أو واجب يثاب فاعله والداد عليه، وأن كل طريق يترتب عليه العبث بمقاصد الشرع من إسقاط الواجبات وتحليل المحرمات وقلب الحق باطلاً والباطل حقاً فهو محظور ويذم فاعله والداد عليه<sup>(41)</sup> .

(38) صلاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن ، 272/1 بتصرف.

(39) سيد قطب، في ظلال القرآن - (3 / 308).

(40) لابن العربي أحكام القرآن - (3 / 489).

(41) يراجع بحري، محمد عبد الوهاب، الحيل في الشريعة الإسلامية والمؤلف كان أستاذاً للتفسير والحديث بكلية أصول الدين - سابقاً ص 23 .

يقول الشاطبي في الموافقات " لا يمكن إقامة دليل في الشريعة على إبطال كل حيلة كما أنه لا يقوم دليل على تصحيح كل حيلة وإنما يبطل منها ما كان مضادا لقصد الشرع خاصة، وهو الذي يتفق عليه جميع أهل الإسلام، ويقع الاختلاف في المسائل التي تتعارض فيها الأدلة " (42). عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ بَلَغَ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ فُلَانًا بَاعَ حُمْرًا فَقَالَ قَاتِلَ اللَّهُ فُلَانًا أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ ( قَاتِلَ اللَّهُ الْيَهُودَ حَرَمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا ). . وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل) . (44)

ويعلق الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - على قصة أصحاب السبت فيقول: "إن الله تعالى أخبر عن أهل السبت من اليهود بمسخهم قرده لما احتالوا على إباحة ما حرّمه الله تعالى من الصيد بأن نصبوا الشباك يوم الجمعة، فلما وقع فيها الصيد أخذوه يوم الأحد؛ قال بعض الأئمة: ففي هذا زجر عظيم لمن يتعاطى الحيل على المناهي الشرعية ممن يتلبس بعلم الفقه وهو غير فقيه؛ إذ الفقيه هو من يخشى الله تعالى بحفظ حدوده، وتعظيم حرّماته، والوقوف عندها، ليس المتحيل على إباحة محارمه، وإسقاط فرائضه، ومعلوم أنهم لم يستحلوا ذلك تكديبا لموسى عليه السلام، وكفرا بالتوراة، وإنما هو استحلال تأويل واحتيال، ظاهره ظاهر الاتقاء وباطنه باطن الاعتداء، ولهذا والله أعلم مسخوا قرده لأن صورة القرد فيها شبهة من صورة الإنسان، وفي بعض ما يذكر من أوصافه شبهة منه، وهو مخالف له في الحد والحقيقة، فلما مسخ أولئك المعتدون دين الله تعالى بحيث لم يتمسكوا إلا بما يشبه الدين في بعض ظاهره دون حقيقته مسخهم الله تعالى قرده؛ يشبهونهم في بعض ظواهرهم دون الحقيقة جزاء وفاقا" . (45)

سادسا : أثر الذنوب في هلاك الأمم والشعوب : من خلال هذه القصة يتبين لنا ما للذنوب من آثار وخيمة وعواقب أليمة على النفس والمجتمع، فشؤم المعصية يحيق بالأفراد والجماعات، وبالمعاصي زوال النعم وحلول النقم، قال تعالى { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [العنكبوت : 40] كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : " مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ " .

وَقَدْ قَالَ الْمَوْلَى جَل وَعَلَا { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } [ سُورَةُ الشُّورَى : 30 ] . وَقَالَ تَعَالَى { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [ سُورَةُ الْأَنْعَامِ : 53 ] .

فَإِذَا غَيَّرَ الْعَبْدُ غَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِذَا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا وَعَصِيَانًا بَدَّلَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ نِقْمَةً وَعَافِيَتَهُ بَلَاءً وَوَبَالَ .

(42) الشاطبي، الموافقات 2/ 237 .

(43) صحيح البخاري باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك . وأخرجه مسلم في المساقاة باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام رقم 1582 . صحيح مسلم . (5 / 26) المساقاة باب تحريم بيع الخنزير والميتة والأصنام . ومعنى فجملوها ، أذابوها .

(44) رواه ابن بطه في " جزء في الخلع وإبطال الحيل " حديث (42) وإسناده جيد .

(45) ابن القيم، إعلام الموقعين، (3 / 209) .

قال الحسن البصري عن أصحاب السبت : "أكلوا والله أوْحَمَّ أَكَلَهَا أَهْلُهَا، أَثْقَلُهَا خَزِيئاً فِي الدُّنْيَا وَأَطْوَلُهَا عَذَاباً فِي الآخِرَةِ". (46)

عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ : " لَمَّا فَتَحَتْ مَدَائِنَ قَبْرِصَ وَقَعَ النَّاسُ يَقْتَسِمُونَ السِّي، وَيَفْرُقُونَ بَيْنَهُمْ، وَيَبْكِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَتَنَحَى أَبُو الدَّرْدَاءِ ثُمَّ احْتَبَى بِجَمَائِلِ سَيْفِهِ فَجَعَلَ يَبْكِي، فَأَتَاهُ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ، فَقَالَ : مَا يَبْكِيكَ يَا أبا الدَّرْدَاءِ؟ أَتَبْكِي فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟ وَأَذَلَّ فِيهِ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ؟ فَضْرَبَ عَلَى مَنْكِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ : ثَبِّكُنْكَ أُمَّكَ يَا جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ، مَا أَهْوَنَ الْخَلْقَ عَلَى اللَّهِ إِذَا تَرَكَوا أَمْرَهُ! بَيْنَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى النَّاسِ، لَهْمُ الْمَلِكِ حَتَّى تَرَكَوا أَمْرَ اللَّهِ، فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى " (47)

وقد عقد ابن القيم رحمه الله في كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي فصولا عن آثار الذنوب الوخيمة، وعواقبها الأليمة، ذكر منها فصلا بعنوان : الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ : قال فيه : " وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ الْحَاضِرَةَ، وَتَقْطَعُ النِّعَمَ الْوَاصِلَةَ، فَتُزِيلُ الْحَاصِلَ، وَتَمْنَعُ الْوَاصِلَ، فَإِنَّ نِعَمَ اللَّهِ مَا حُفِظَ مَوْجُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ مَقْضُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا وَأَفَةً، سَبَبًا يَجْلِبُهُ، وَأَفَةً تُبْطِلُهُ، فَجَعَلَ أَسْبَابَ نِعَمِهِ الْجَالِيَةِ لَهَا طَاعَتَهُ، وَأَفَاتِهَا الْمَانِعَةَ مِنْهَا مَعْصِيَتَهُ، فَإِذَا أَرَادَ حِفْظَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ أَلْهَمَهُ رِعَايَتَهَا بِطَاعَتِهِ فِيهَا، وَإِذَا أَرَادَ زَوَالَهَا عَنْهُ خَذَلَهُ حَتَّى عَصَاهُ بِهَا " (48) . وَقَدْ أَحْسَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قَالَ :

إِذَا كُنْتُ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَاهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ .

وَسَافِرٍ بِقَلْبِكَ بَيْنَ الْوَرَى لِتُبْصِرَ آثَارَ مَنْ قَدْ ظَلَمَ .

سابعا : عاقبة الأمن من مكر الله : إذا أوغل العبد في الذنوب والعصيان، وأطلق لنفسه العنان، وغلبت عليه الشقوة والنسيان، فإن مصيره لا محالة إلى الخيبة والخسران؛ إذ كيف يأمن مكر الإله من جاهر بالفسق والعصيان! كيف يأمن مكر الله من تهادى في الظلم والطغيان! كيف يأمن مكر الله من غرق في بحار الذنوب وتقاذفته أمواج النسيان! وألقته صريحا على ساحل الحرمان! قَالَ تَعَالَى : { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99) } [الأعراف : 97 - 100] . وَفِي الْحَدِيثِ يَقُولُ ﷺ : إِذَا رَأَيْتُمْ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ

(46) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (3 / 59) .

(47) سعيد بن منصور، السنن، (1 / 389) .

(48) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص 73 .

وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ . ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : { فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } [الأنعام : 44] .<sup>(49)</sup>

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : رَبٌّ مُسْتَدْرَجٌ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَرَبٌّ مَعْرُورٌ بِسِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَرَبٌّ مَفْتُونٌ بِتَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ .<sup>(50)</sup>

ثامنا : ذمُ النسيان : النسيان آفةُ الآفات، فكم يجلبُ من عذابٍ وحسراتٍ، وكم يُفضي إلى آلامٍ وزفرياتٍ : نسيان العبد لنفسه بأن يغفل وينسى مصالحه العاجلة والآجلة لا يهتمها في تعاطي الذنوب، وعكوفه على اقتراف المعاصي، ومن نسي نفسه ضيَّعَ حَقَّهُ ونسي وضَيَّعَ حقوق غيره عليه، ونسي بالأحرى حقوق الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [سورة الحشر : 18 - 19] . " فَتَرَى الْعَاصِيَ مُهْمَلًا لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ مُضَيَّعًا لَهَا، قَدْ أَغْفَلَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا، قَدْ انْفَرَطَتْ عَلَيْهِ مَصَالِحُ دُنْيَاهُ وَأَخْرَجَتْهُ، وَقَدْ فَرَطَ فِي سَعَادَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ، وَاسْتَبَدَلَ بِهَا أَدْنَى مَا يَكُونُ مِنْ لَذَّةٍ، إِنَّمَا هِيَ سَحَابَةٌ صَنِيفٍ، أَوْ خَيَالٌ طَيِّفٍ . وَأَعْظَمُ الْعُقُوبَاتِ نَسْيَانُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، وَإِهْمَالُهُ لَهَا، وَإِضَاعَتُهُ حَظَّهَا وَنَصِيْبَهَا مِنَ اللَّهِ، وَبَيْعُهَا ذَلِكَ بِالْعَيْنِ وَالْهَوَانِ وَالْجَسَسِ الثَّمَنِ، فَضَيَّعَ مَنْ لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ، وَلَا عِوَضَ لَهُ مِنْهُ، وَاسْتَبَدَلَ بِهِ مَنْ عَنْهُ كُلُّ الْغِنَى أَوْ مِنْهُ كُلُّ الْعِوَضِ . قَالَ جَل وَعَلَا { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [الحشر: 19]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (( نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْبُهُمْ )) [التوبة: 67]، فَعَاقَبَ سُبْحَانَهُ مَنْ نَسِيْبُهُ عَقُوبَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَسِيْبِهِ . وَالثَّانِيَّةُ : أَنَّهُ أَنْسَاهُ نَفْسَهُ .

ونسيانهُ سُبْحَانَهُ للعبد إهمالُهُ وتركُهُ وتخلِّيهِ عَنْهُ وَإِضَاعَتُهُ، وَأَمَّا إِنْسَاؤُهُ نَفْسَهُ : فَهُوَ إِنْسَاؤُهُ لِحَظْوِطِهَا الْعَالِيَةِ، وَأَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا وَصَلَاحِهَا وَمَا تَكْمُلُ بِهِ نَفْسُهُ، يُنْسِيهِ ذَلِكَ جَمِيعُهُ، فَلَا يَحْطُرُهُ بِإِلَاحِهَا، وَلَا يَجْعَلُهُ عَلَى ذِكْرِهِ، وَلَا يَصْرِفُ إِلَيْهِ هَمَّتَهُ فَيَرْغَبُ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يَمُرُّ بِإِلَاحِهَا حَتَّى يَقْصِدَهُ وَيُؤَثِّرُهُ . وَأَيْضًا فَيُنْسِيهِ عِيُوبَ نَفْسِهِ وَأَقَاتِمَا ؛ فَلَا يَحْطُرُ بِإِلَاحِهَا وَإِصْلَاحِهَا. وَأَيْضًا يُنْسِيهِ أَمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَآلِمَاتِهَا؛ فَلَا يَحْطُرُ بِقَلْبِهِ مُدَاوَأَتَهَا، وَلَا السَّعْيَ فِي إِزَالَةِ عِلَلِهَا وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَوُولُ بِهِ إِلَى الْفَسَادِ وَالْهَلَاكِ، فَهُوَ مَرِيضٌ مُتَّخِذٌ بِالْمَرَضِ، وَمَرَضُهُ مُتْرَامٌ بِهِ إِلَى التَّلَفِ، وَلَا يَشْعُرُ بِمَرَضِهِ، وَلَا يَحْطُرُ بِإِلَاحِهَا مُدَاوَأَتَهُ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَةِ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ. فَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةِ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا، وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا، وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا وَصَلَاحِهَا وَحَيَاتِهَا الْأَبَدِيَّةَ فِي النِّعَمِ الْمُقِيمِ !

(49) رواه الإمام أحمد في المسند عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (4 / 145) وقال محققه شعيب الأرنؤوط : " حديث حسن وهذا إسناد ضعيف لضعف رشدين بن سعد وباقي رجال الإسناد ثقافت " .

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (12 / 300) حديث 14327 ، وفي المعجم الأوسط (9 / 110) حديث 9272 والبيهقي في شعب الإيمان - (6 / 298) ، حديث 4220 ، والرويان في مسنده (1 / 89) 265 .

(50) الهيثمي، ابن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر (1 / 222) ، ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (89/1) ، ونحو ذلك ما ذكره الذهبي في الكبائر (1 / 227) الكبيرة الثالثة و الستون : الأمن من مكر الله .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ :

رَأَيْتُ الدُّنُوبَ تُمِثُّ الْقُلُوبَ \* وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرَكَ الدُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ \* وَحَيَّرَ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا

(51) وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ \* وَأَحْبَابُ سُوءِ وَرَهْبَانُهَا

تاسعا: أهمية الحوار : الحوار مطلبٌ ضروريٌ للدعاة والمصلحين والقائمين على أمور المسلمين يهدف إلى فهم الرؤى والأفكار وتبادل الخبرات ومراجعة المناهج والوسائل ومعالجة المشكلات والأزمات، وتوحيد الصفوف، وتقريب المسافات، وإزالة الخلافات، وإذكاء روح التعاون، والتماس العذر في مسائل الخلاف . فلا بد للدعاة أن يكونوا على بصيرة من أمرهم، ودراية بأحوال الناس، ومراجعة للمقاصد والأهداف، وتجاوز وتشاور فيما بينهم لتوحيد الكلمة : { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) } [الأعراف : 164، 165].

عاشرا : درس في الحضارة ونعمة البحار : {وَاسْأَلْتُمُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف : 163] . تنشأ المدن والقرى وتنمو ويتحدد نشاطها الاقتصادي بحسب موقعها الجغرافي، ومواردها الطبيعية من المعادن ووسائل الطاقة، وغير ذلك من ثروات، وفقاً لمشيئة الله، وحسب الموقع والبيئة والموارد الطبيعية، وفي هذه القصة لفت أنظارنا إلى نعمة عظيمة من نعم الله تعالى التي أسبغها علينا وهي نعمة البحار، وما يُستخرج منها من كنوز وخيرات قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ حَلْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [النحل : 14] . وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الجناتية : 12، 13] . وهذه دَعَوَاتٌ إلى التفكر في نعم البحار وإمعان النظر في خيراتهما ومنافعها التي لا تُحصى، ودعوة إلى حسن الإفادة منها مع أداء شكرها .

حادي عشر : درس للدعاة: ليس الأمر مجرد رسالة تؤدى وأمانة يُلقِيها الداعية عن كاهله، أو كلمة يقوؤها ثم ينصرف مأجوراً، بل هي رسالة حبٍ ورحمة، رسالة أملٍ ورجاءٍ.

(51) ابن الجوزي، ذم الهوى، (47) .

## ثاني عشر: دروس وعبر أخرى

- سنة الله تعالى في إمهال العصاة والمذنبين لعلمهم يتوبون ويرجعون، وهذا من لطفه بعباده ورحمته التي وسعت كل شيء . فالخذُر الحذر من الاستدراج، سيّما أولئك الغارقون في بحر الذنوب الهائمون في دروب المعاصي، فإن أخذ الله شديداً، وعذابه أليم .
- الفسق والعصيان والاستهانة والاحتيال على شريعة الرحمن والعتو والظلم من أسباب النقم .
- العتوّ: معرفة الحق وتركه والتمادي في الباطل مع ظهور بطلانه مكابرة وعناداً، وآفة تستوجب غضب الربّ عزّ وجلّ وتؤدّي إلى الخسران والمهلاك. قال تعالى { وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّيْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا } [الطلاق 8] .
- في القصة الكريمة تتجلى لنا دلائل وشواهد قدرة الله تعالى، وعظمته، وعدله وحكمته .
- الآفة التي يبتلى بها مجتمع من المجتمعات إن لم تحاصر وتمنع، فإنها تستشري وتستفحل، فينبغي المبادرة إلى التصدي لها والوقاية منها، تأمل كيف انتشر التبرج والريا والمخدرات والأفكار المغلوطة في مجتمعات مسلمة، كيف بدأت من بعض أفراد لم يجدوا مواجهة حاسمة! حتى ذاع الأمر وشاع.
- وجوب الاعتبار بقصص السابقين، والاتعاظ بعاقبة المهالكين .
- لا ينتفع بالمواعظ إلا أولوا النهى وأهل التقى، فليحرص العبد على تقوى الله فهي زاؤه وسبيله لكل خير .
- من أسباب الاحتيال ما جبلت عليه بعض النفوس من طمع وجشع وميل للمكاسب الهائلة بأقل مجهود، كالمرايين وغيرهم .
- وقوع المسخ الحقيقي عقوبةً رادعةً وأمثلةً زاجرةً للمحتالين على شرع الله .
- الجزء من جنس العمل، كما قال ابن كثير: "... مسخهم الله إلى صورة القردة وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابحة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن، كان جزاؤهم من جنس عملهم" (52)
- تشير القصة إلى خطورة الصيد الجائر والذي يستنزف ثروات البر والبحر ويفسد البيئة.

(52) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1 / 134).

## خاتمة البحث

## أهم النتائج

1. من خصائص أساليب القرآن الكريم : التفصيل بعد الإجمال، والإيجاز بعد الإسهاب، والبيان بعد الإيهام، وهذه القصة كغيرها من قصص القرآن الكريم، مع ورودها في أكثر من موضوع، إلا أنه لا تناقض ولا اختلاف بل تكامل وتناسق، وانسجام مع سياق الآيات، وامتزاج بمقاصد السور.
2. رأينا في ثنايا هذا البحث ما يتسم به القصص القرآني من شمول؛ فما من جانب من جوانب الحياة إلا ونجد في ذلك القصص ما يعالجه، كما أنه بمثابة التطبيق العملي لسنن الله وأقداره، مما يزيد العبد ثباتا ويقينا، وهذه القصة نموذج واقعي لمن يحتال على شرع الله تعالى.
3. التنوع في القصص القرآني، فتجد القصة الطويلة كقصة يوسف، وتجد القصة القصيرة كهذه القصة، وتجد ما بين ذلك، وتجد التنوع في الدلالات والمقاصد، وهذا من شمول القرآن وكماله وإعجازه.
4. دقة القرآن الكريم وإنصافه حيث ذكر الناجين بجميل صنعهم، كما ذكر الهالكين بقبيح فعالهم، فكما ذكر القرآن الكريم صحائف سوداء مظلمة في تاريخ اليهود، لظالموا جدّوا في طيها، لما تنبى عنه من سوء نية وخبث طوية، فقد جلى القرآن وكذلك السنة صفحات وضاء مشرقة بمآثر صالحهم ومناقبهم، قد اندرست أو غفلوا عنها .
5. ذكر القرآن الكريم لهذه الصفحات المنسية في تاريخ اليهود دليل على صدق القرآن وثبوت كونه منزلًا من عند الله.
6. شؤم الفسوق والعصيان، وكونهما من أسباب البلاء، ونكد العيش . { كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [الأعراف : 163].

## أهم التوصيات

1. يجب المسارعة إلى إنكار المنكر والتصدي له من قبل الناصحين الغيورين، قبل أن يتفشى وباؤه، وتقوى شوكة رعاته، فالانحراف يبدأ في المجتمع حالة فردية، لكنه سرعان ما ينتشر انتشار النار في الهشيم، إن لم تجد من يخدمها، حتى يصبح الفساد وباء متغلغلا في شرايين المجتمع يصعب اجتثاثه.
2. التربية الراشدة، والتوعية المستمرة، وتقوية داعي الإيمان في القلوب، مما يحصن النفوس من انتهاك محارم الله أو التحايل عليها، وكذلك تعظيم الشريعة مما يقوي داعي الامتثال، لذلك يتساهل الناس في التحايل على القوانين الوضعية إن عارضت مصالحهم؛ إذ لا هيبة لها ولا قداسة في النفوس، كهيبة وقداسة شريعة الله الغراء. فينبغي تحكيم شرع الله؛ ففيه العصمة والوقاية والنجاة.
3. القصة رسالة متجددة موجهة لليهود: { وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ } [البقرة : 65] ، { وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ } [الأعراف : 163] لا مخرج لليهود - من التيه ولا نجاة لهم ولا خلاص من العقد النفسية، والعنت، واللجوء للحيل العجيبة، لمواجهة جمود شريعتهم وحرجه - إلا في اتباع النبي الخاتم، نبينا محمد ﷺ كما قال ربنا { وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ

الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَايُ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) [الأعراف : 156 ، 157].

4. حاجتنا لدراسة القصص القرآني واستنباط ما فيه من دروس وعبر، فأقترح مشروعاً علمياً للفوائد المستنبطة من القصص القرآني، ورسالة علمية عن خصائص القصص القرآني ومقاصده.
5. أوصي بدراسة بلاغة المفردة في القصة القرآنية، وفصاحتها ودقتها.

### مراجع البحث

#### القرآن الكريم

- ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ت 833 هـ، النشر في القراءات العشر ط دار الفكر بدون تاريخ .
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن ( ت 596 هـ ) زاد المسير في علم التفسير 1385 هـ سنة 1965 م ط المكتب الإسلامي بيروت ط 1 .
- ابن الجوزي، ذم الهوى ط دار الكتب الإسلامية بالقاهرة .
- ابن العربي القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، ت 543، أحكام القرآن ه ط دار الفكر .
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ط دار الكتب العلمية - بيروت.
- ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي (ت 387هـ) إبطال الحيل، المحقق : زهير الشاويش . ط المكتب الإسلامي . الطبعة الثالثة .
- ابن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ط المكتبة العصرية بيروت 1420 .
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 1379هـ، دار المعرفة بيروت.
- ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق ط مكتبة الخانجي - القاهرة ط 3.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، ت 546 هـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1395 هـ ط المجمع العلمي بفاس المغرب وطبعة دار الكتب العلمية بيروت .
- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر 751هـ، إعلام الموقعين عن رب العالمين دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة .
- ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة دار الكتب العلمية - بيروت .
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ت 774 هـ ط مؤسسة قرطبة.
- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت 275 هـ، السنن، ط دار الحديث بالقاهرة .
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الغرناطي، البحر المحيط، ط دار الفكر .
- أحمد بن حنبل المسند، ط المكتب الإسلامي بدون تاريخ، ط مؤسسة الرسالة

- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت 1270 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط دار إحياء التراث العربي ط 4 سنة 1405 هـ .
- البخاري، الجامع الصحيح ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت 510 هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط 1 : 1420 هـ
- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 1413 هـ، ط دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ط 2 .
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ط دار الكتب العلمية - بيروت.
- الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 1419 هـ ط دار الكتب العلمية - لبنان ط 1 .
- الرازي، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت 327 هـ) تفسير القرآن العظيم، 1419 هـ ط مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة.
- الرويانبي، محمد بن هارون أبو بكر ت 307، المسند، 1416 هـ، تحقيق أيمن علي أبو يمان ط مؤسسة قرطبة. القاهرة .
- الزبيدي، محب الدين أبو الفضل السيد محمد المرتضى الحسيني الواسطي الحنفي نزيل مصر ت (1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط المطبعة الخيرية بجمالة مصر 1306 هـ .
- سيد قطب ت 1966م، في ظلال القرآن، 1407 هـ، دار الشروق ط 13.
- السيوطي، جلال الدين، (ت 911 هـ) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 1424 هـ، ط: دار هجر مصر.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الموافقات، ط دار المعرفة بيروت.
- الشوكاني، محمد بن علي ت 1250، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير دار المعرفة بيروت .
- صلاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، ط دار القلم دمشق.
- الطالقاني، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، دار النشر : عالم الكتب - بيروت / لبنان - 1414 هـ - 1994 م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت : 360 هـ) المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم - الموصل ط 2، 1404 - 1983 . تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت : 360 هـ)، المعجم الأوسط، ط دار الحرمين - القاهرة، 1415 . تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن للإمام ت 310 هـ المحقق : أحمد محمد شاكر ط مؤسسة الرسالة - الطبعة : الأولى، 1420 هـ.
- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد مصطفى الحنفي (ت 982 هـ)، إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت 0
- فخر الدين الرازي ت 606 هـ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) 1405 هـ ط دار الفكر
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 1987، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- مجاهد بن جبر أبو الحجاج، تفسير مجاهد (ت: 104 هـ) ت د. محمد عبد السلام أبو النيل ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ط 1، 1410 هـ .
- محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، 1418 هـ / 1998 م، مؤسسة الرسالة ط 10.
- محمد عبد الوهاب بحيري، الحيل في الشريعة الإسلامية، 1394 هـ سنة 1974 ط السعادة.
- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ت 261 هـ الصحيح، دار إحياء الكتب العربية بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.